أصل كلمة المماليك

obeikandl.com

obeikandl.com

أصل كلمة المماليك

المملوك عبد يباع ويشترى، وسمي مملوكًا لأنه يصير ملكًا لمن اشتراه، ثم اصطلح على اطلاق لفظ المماليك على فئة من العبيد كان الأمراء والسلاطين والخلفاء يشترونهم ليكونوا فرقًا خاصة في جيوشهم.

ومن المعروف أن خلفاء الدولة العباسية، وأمراء الدولة الأموية في الأندلس، أقبلوا على شراء المماليك الترك والصقالبة، واستخدموهم كعنصر حربي بديل عن العنصر الفارسي في الجيش، وفي الإدارة الحكومية، وفي القصور

ويعتبر الخليفة المعتصم بالله لعباسي «٢١٨ – ٢٢٨ هـ» أول من استكثر من خلفاء بني العباس من استجلاب المماليك الترك لاستخدامهم في الجيش كقوة فتية جديدة، لما كانوا يتصفون به من شجاعة وبسالة في القتال.

obeikandl.com

خريطة الدولة العباسية

وكان الخليفة العباسي المأمون أول من أقبل على شراء العبيد الترك، واستخدمهم في بعض حرسه، وإن كانوا قد بدؤوا يتسللون في الجيش العباسي قبل ذلك في عهد المنصور، وفي عهد المهدي، وأدوا دورًا مهمًا في القضاء على مقاومة الخوارج الذين ثاروا بقيادة عبد السلام اليشكري في عهد المهدي، وقد استعان المأمون بالمماليك الأتراك بالإضافة إلى أجناده الفرس وبعض رجالات الغرب في صراعه ضد أخيه الأمين، وفي عهده أهدى إليه نوح بن أسد السامائي عامل بخارى غلمانًا من الأتراك سنة ٢٠٠ هـ ، من بينهم طولون الذي قدر لابنه أحمد فيما بعد أن يستقل بمصر مؤسسًا الدولة الطولونية.

ويعتبر الطولونيون والأخشيديون أول من استكثر من المماليك الأتراك في مصر ، فقد ذكر المقريزي : أن ابن طولون استكثر من شراء المماليك الأتراك، وذكر ابن تغري بردي : أن محمد بن طغج الأخشيدي كان ينهج نهج الطولونيين في اتخاذ المماليك الترك.

خريطة الدولة الطولونية

خريطة الدولة الأموية

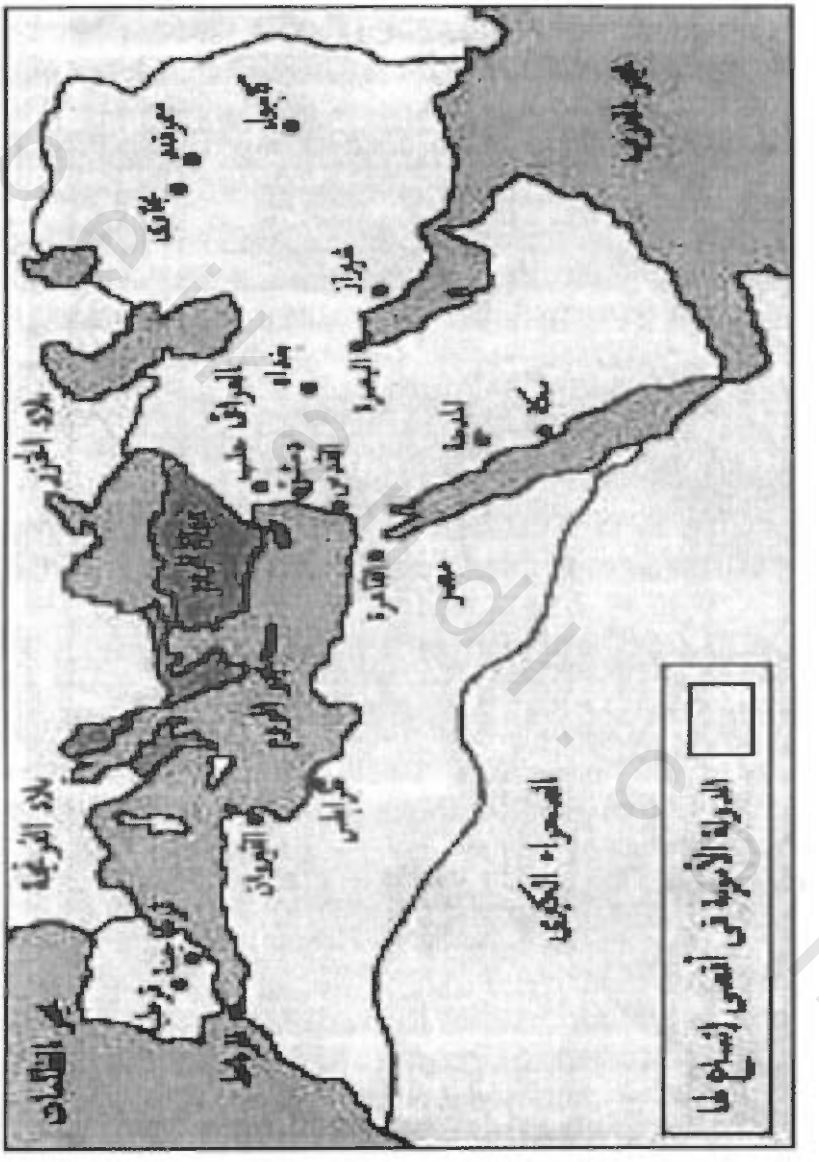

وكان الأمويون في الأندلس يستجلبون المماليك الصقالبة ، الذين كان طريقهم الرئيسي يبتدئ من شرق ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى أسبانيا الإسلامية أو الأندلس عن طريق نهر الرون وقطلونية حتى ثغر بجانة على الساحل الشرقي الأسباني بجوار المرية.

وكلمة صقلب فرنسية قديمة ، ومعناها عبد أو رقيق ، وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة، لأن بعض الجرمان دأبوا على سبي تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب أسبانيا، ولذلك أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة، ثم توسع العرب في استعمال هذا الاسم ، فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أية أمة نصرانية ، واستخدوهم في قصور الخلافة

وكان الفاطميون أيضًا في المغرب ومصر يكثرون من استجلاب المماليك الصقالبة ، وكانوا يأتون بهم أطفالًا إلى الأندلس، فيدربونهم على القتال، وأعمال القصر ، ثم يستخدمونهم في قيادة الجيش، وفي إدارة الدواوين والخطط الرئيسية في الدولة.

خريطة الدولة الفاطمية في المغرب

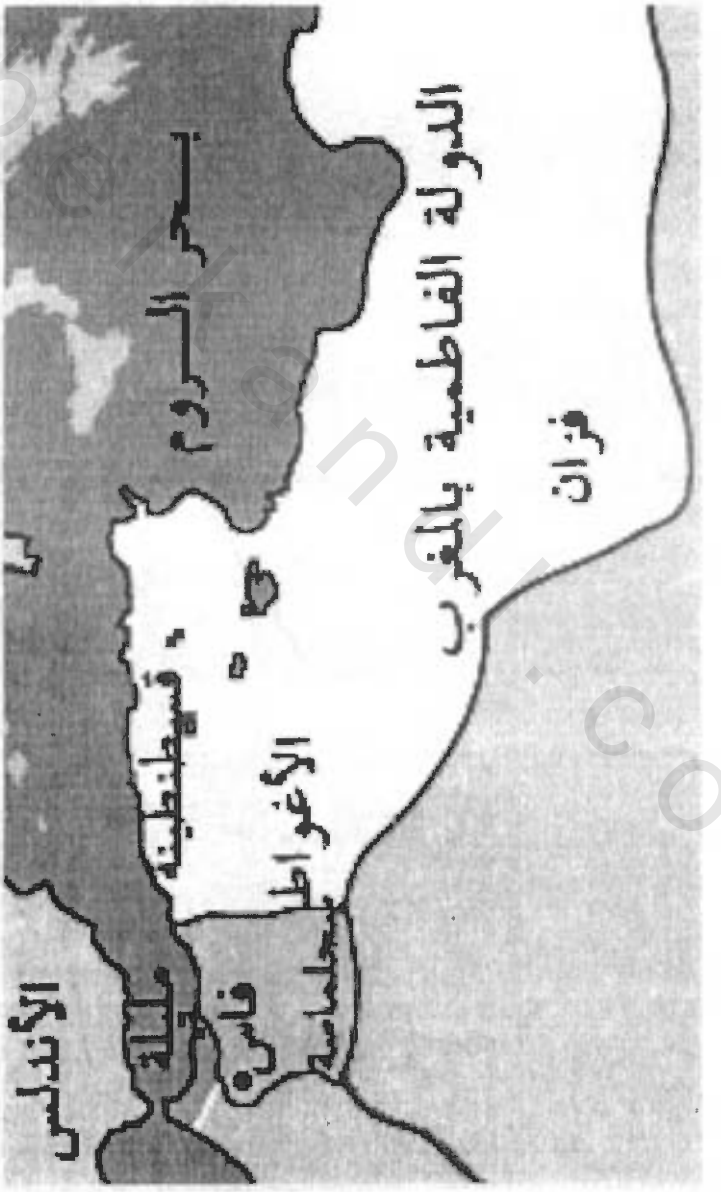

وبرز منهم : جوهر الصقلي أو الصقلبي، ودنيا الصقلبي ، وبرجوان الصقلبي، وأطلق الفاطميون على أحد شوارع القاهرة اسم الصقالبة.

وفي عصر الدولة الأيوبية استكثر الملك الصالح نجم الدين أيوب من شراء المماليك الأتراك وكوّن منهم معظم جيشه ، وأنشأ سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤١م قلعة المماليك في جزيرة الروضة ، والتي عرفت بقلعة الصالحية نسبة إليه ، كما انتقل هو إلى جزيرة القلعة واتخذها مقرًا لملكه.

خريطة الدولة الأيوبية

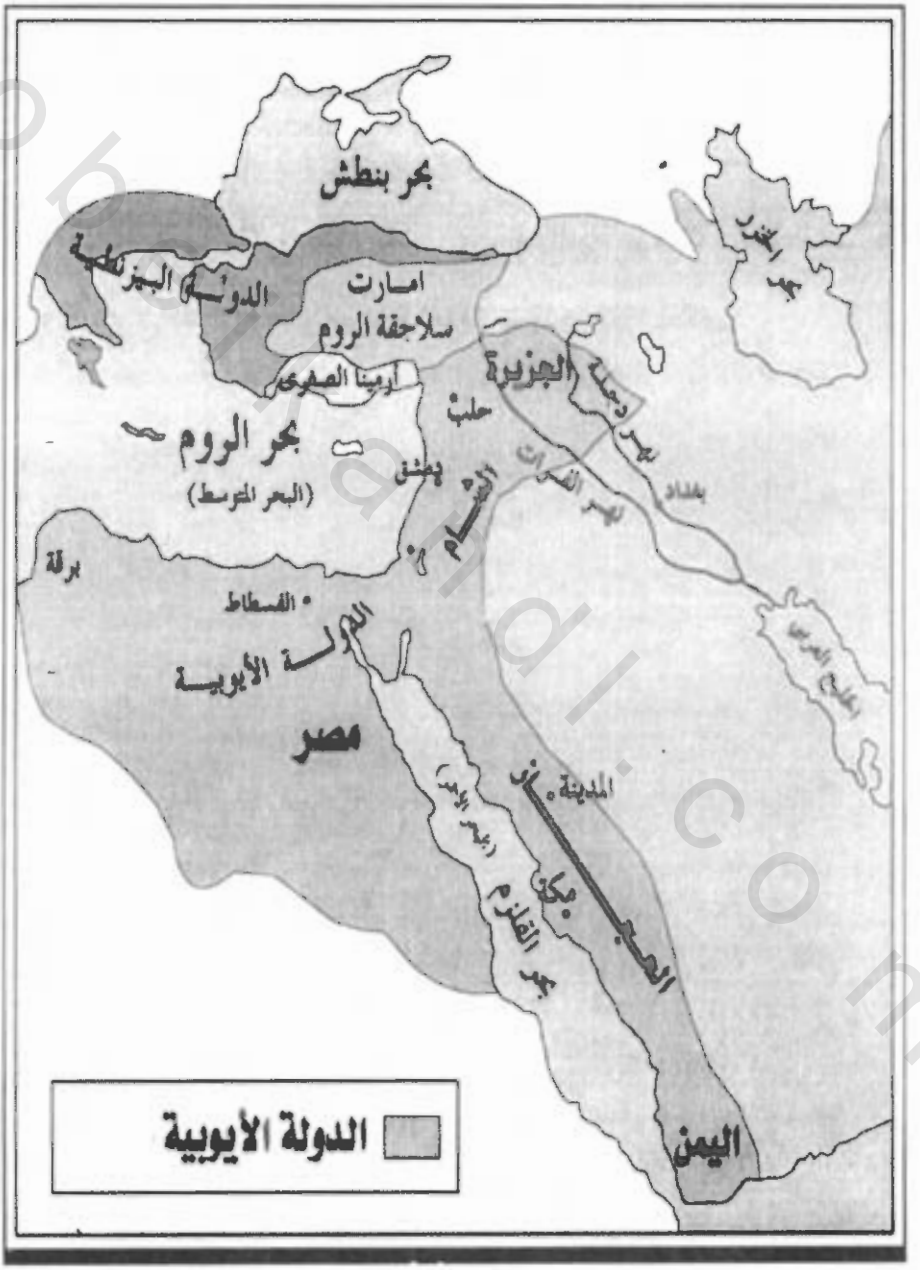

وقد عرف مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب أيضًا باسم المماليك البحرية ، وسموا كذلك إما لإقامتهم في جزيرة الروضة ببحر النيل، أو لأنهم كانوا يُجلبون عن طريق عرض البحر، وهكذا جرت العادة بنسبة المماليك إلى ملوكهم وأسيادهم.

ويعتبر عصر المماليك من أهم عصور مصر الإسلامية ، سواء من حيث التاريخ السياسي – حيث استطعوا أن يجعلوا مصر عاصمة إمبراطورية واسعة الأطراف ، وزعيمة العالم الإسلامي، ومقر الخلافة الإسلامية – أو من حيث الازدهار الحضاري ، الامر الذي جعل سلاطين المماليك يلقبون أنفسهم بألقاب تدل على أهمية دورهم في هذه الحقبة ، وكانوا يسجلون هذه الألقاب في مكاتباتهم وعلى آثارهم ، ومنها : «السلطان الأعظم ، الملك الأشرف ، السيد الأجل، العالم العادل، ناصر الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، فاتح الأقطار، مانح الممالك والأمصار، اسكندر الزمان، حامي الحرمين الشريفين...» ، وغير ذلك من هذه الألقاب.

وقد استمر حكم المماليك لمصر قرابة ثلاثة قرون ، وبالتحديد ٢٧٥ سنة هجرية «٦٤٨ - ٩٢٣» أو ما يقابل ٢٦٧ سنة ميلادية « ١٢٥٠ - ١٥١٧م».

وقد قسمها المؤرخون إلى قسمين:

الأولى : دولة المماليك البحرية أو الصالحية من سنة ٦٤٨ – ٧٨٤ هـ.

الثانية: دولة المماليك الجراكسة الذين استجلبهم السلطان المملوكي المنصور قلاوون ، وأسكنهم أبراج القلعة، وسماهم البرجية من سنة ٧٨٥ – ٩٢٣ هـ.

خريطة دولة المماليك